القصة الخامسة والعشرون ـ الصدقة والشح

حيدر ركيك

كان يقف على باب المسجد يسلم على هذا وينتظر من هذا قطعة نقدية ،كان يتلهف إلى من يعطيه إياها شاكرا له بالإشارة مربتا على كتفه ممتنا.

لقد قطع النهار بطوله يتسكع في الطريق تائها شريدا يومئ بيديه الى أحدهم إن أراد شرابا أو طعاما ثم ما يلبث أن يكمل سيره إلى حيث تقذف به رجلاه.

كنت من رواد مسجد صغير في حيّنا أصلي العصر ـ فيه و كان يأتي إليه لاللصلاة ولكن ينتظر أن يخرج الناس لعل أحدهم يعطف عليه ويعطيه حسنة ، كانت خيبته تبدو على ملامحه إن لم يفز بها من أحدهم و يسمع له صوت أشبه بالمأساة لأنه كان أبكم لا يقدر على إخراج كلمة .

كان يبدي لطفا مع الكل ، حتى معي ، كنت أراقب بصمت من بعيد لا أتقرب إليه إلا بنظرة رأفة طارت مع وشاية أحدهم لي أنه قبض بالجرم المشؤوم مع أحد الفتية الصغار

كنت حينها غضا يافعا أصدق ما يقال

تحسست منه أكثر وصرت حذرا في التعامل معه، إلا من بعيد وفي القليل من المرات.

مرت سنتان أو أكثر وانا على هذه الحال إلى أن تجرأت يومها وأعطيته ما كتب الله في جيبي ، رأيت السرور في عينيه كان فرحا بي على غير عادته

وكنت مسرورا أيضا به. ولكن ما باليد حيلة. مع راتبي حينها ، الحق يقال لم يك الراتب مشكلا ، كان بعضًا من الشح في نفسي. ينتابني فاغلبه مرة ويغلبني مرات و ألقي باللوم على هذا الطبع لعله يندثر وتأبى النفس إلا تمسكا به، تمر الأشهر والسنوات وأنا في صراع بين بذل العطاء أو الشح كأي نفس بشرية .

لقد كتب الله لي أن أنجح في مسابقة ترقية صرت بموجبها مديرًا لشركة وجرى المال في يدي، وساعدت الكثير كان هو من بينهم .

في إحدى المرات وجدت نفسي أصلي العصر في مسجد آخر وما إن خرجت حتى لمحته يترجى بالإشارة الباعة الذين يحيطون بالمسجد أن يعطوه شيئا من الخضروات ، أيقنت ساعتها أني ظلمت الرجل وأنه ما تسول إلا لأجل أن يعيش ويعيل عائلته فلقد كان رغم صغر جسمه بعمر الثلاثين أو أكثر .

لقد عاندته الأقدار وأخذت منه صوته و سمعه وعادته الدولة في أن تعلمه حرفة يسترزق منها أو تعليما يصل به لأعلى المراتب ، وعاديته أنا بأن أسأت الظن به وتعهدت بأن أعطيه ما يمكنني كلما لاقيته لعل الله يغفر لي شحي وسوء ظني به.